اسم المصدر: الوطن السعودية

التاريـــخ: 05-02-2010 رقم العـدد: 3416 رقم الصفحة: 12 مسلسـل: 79 رقم القصاصة: 1

الجبهة الداخلية في معادلة الأمن الوطني

ما إن بدأت بوادر التلاحم بين الجبهتين الداخلية والخارجية تؤتي ثمارها؛ حتى أخذت تخرج علينا بيانات مشبوهة، وموقعة وللأسف الشديد، من أناس يحملون صفة العلم الشرعي

عبدالرحمن الوابلي

كاتب سعودي

alwabli@alwatan.com

اسم المصدر: الوطن السعودية

التاريـــخ: 05-02-2010 رقم العـدد: 3416 رقم الصفحة: 12 مسلسـل: 79 رقم القصاصة: 2

أشرفت العمليات العسكرية على حدودنا الجنوبية على نهايتها، والتي أثبت فيها جيشنا السعودي الوطني وقوات أمننا الوطنية جدارتها في الدفاع عن حياض الوطن، وكذلك الإثبات للداني والقاصي بأن كل شبر من وطننا الغالي هو حرام على كل من تسول له نفسه بسوء، أن يستخف أو يعبث به. فكل شبر منه وحده الأجداد بقيادة المغفور له الملك الموحد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه، وعطروه بعرقهم الطاهر وبدمائهم الزكية. وحافظ عليه الآباء بكل أمانة وإخلاص تحت قيادة ورعاية ملوكنا الكرام. وباسترجاع جيشنا الوطني وقوات أمننا الباسلة، كل شبر حاول تدنيسه البغاة الظلاميون، أثبتنا أننا، ولله الحمد والمنة، خير خلف لخير سلف؛ تحت قيادة ورعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله، وولي عهده الأمين ونائبه الثاني الكريم حفظهم الله ورعاهم.

إن العمليات العسكرية فرضت علينا وهي كره لنا، وعسى أن نكره شيئاً وهو خير لنا. فقد أثبتت قواتنا المسلحة بكل قطاعاتها العسكرية والأمنية، أنها على قدر عال من الجاهزية القتالية والاحترافية العسكرية. من خلال تمتعها بمستوى جاهزيتها العملياتية والقتالية العالية، والتكيف السريع مع الظروف غير الطبيعية وغير الموائمة لقتال القوات المسلحة المدربة على الاشتباك والقتال التقليدي مع جيوش نظامية، وليس مع عصابات غير نظامية لا ترتدي زياً عسكرياً، ناهيك عن اختفائها بين السكان المحليين وتسترها بين الجبال والأشجار. كما أدارت العمليات والمعارك العسكرية بكل كفاءة واحترافية، خاصة من ناحية التنسيق الملفت للانتباه بين جميع قطاعاتها وبوقت قياسي، قد يأخذ من بعض القوات المسلحة للدول المتقدمة وقتا أطول وجهدا أكثر وخسائر أفدح.

فهنيئاً لنا بقياداتنا الرشيدة، المخلصة والأمينة في إعداد ورعاية قواتنا المسلحة وقوات أمننا الوطنية، من دون دعايات وبهرجة، قد لا ترقى لمستوى الواقع عند أول امتحان. وهنيئاً لقيادتنا الرشيدة ولنا بقواتنا المسلحة وبقوات أمننا الوطني الباسلة، فقد أثبتت فيما لا يدع مجالا للشك، أنها تعبر عن روحنا الوطنية قيادة وشعباً.

هذا تقييم سريع لأداء جبهة القتال "الجبهة الخارجية"، أما أداء جبهتنا الداخلية فقد كانت على مستوى المسؤولية، ورقت لمستوى أداء جبهتنا الخارجية؛ لولا بعض الاستثناءات التي تستوجب منا مراجعة، ترقى لمستوى الدماء الطاهرة لشهدائنا الذين استبسلوا للدفاع عن جبهتنا الداخلية. حيث الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية أصبحتا وجهين لعملة واحدة في معادلة الأمن الوطني. أي بغياب واحد من وجهي العملة، يجعل من العملة غير قابلة للصرف أو المقايضة. ففي الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وتحديداً بعد اندلاع الثورة الفرنسية ونشوب ما سمي بحروب الثورة الفرنسية التي أحدثت ثورة في معايير الحرب والأمن الوطني، دخلنا في مفهوم جديد للحرب اسمه "الحرب الشاملة" حيث قبل حروب الثورة الفرنسية كانت الحرب "حربا محدودة" يتصادم فيها الجيشان على جبهات قتال أمامية، لا دخل بالشعب بها، لا من بعيد ولا من قريب.

عندما نجحت الثورة الفرنسية في السيطرة على مقاليد الحكم في فرنسا وأخذت تطبق مفاهيمها الثورية؛ وجدت التغييرات الثورية الجديدة في فرنسا صدى وقبولا من قبل باقي شعوب أوروبا. وعليه خافت الحكومات الأوروبية من تمدد مفاهيم الثورة الفرنسية إلى شعوبها؛ فشكلت تحالفا عسكريا بينها للهجوم على فرنسا، ووأد ثورتها في مهدها. وتم شن حرب أوروبية على فرنسا المنهكة من تداعيات الثورة. وعليه قامت قيادات الثورة، بتجنيد الشعب الفرنسي المتحمس لثورته للدفاع عنها. وهنا ظهرت لنا ولأول مرة جيوش الشعوب، وأصبحت الشعوب جزءا مهما وكبيرا لا يتجزأ من القوة العسكرية لبلادها. وعليه أصبحت الشعوب مستهدفة مثلها مثل قواتها العسكرية على جبهات القتال، وبدأنا نسمع بمصطلحي "الجبهة الخارجية" و"الجبهة الداخلية" لأي حرب. وهكذا دخل مصطلح الـ"حرب الشاملة" قواميس علوم الحرب والدبلوماسية والسياسية وحتى الاقتصادية؛ والتي تأسس عليها مفهوم الأمن الوطني الشامل.

وعليه أصبحت الجبهات الداخلية هي المستهدف الأول، وعليه فتصديعها أصبح أولوية للعدو على الجبهة الخارجية. وليس بالمستغرب أن يقول مهندس وعبقري حروب الثورة الفرنسية "نابليون بونابرت" أعطوني مدفعا واحدا وتسعا وتسعين مطبعة وأغزو لكم العالم. أي أكد على أهمية الجبهات الداخلية لكل أطراف الحرب في معادلة الأمن الوطني. كما أنه ليس بالمستغرب كذلك، أن يظهر مصطلح "الطابور الخامس" في أحد حروب الثورة الفرنسية، وهي الحرب الفرنسية الإسبانية. حيث تخريب الجبهة الداخلية للعدو وتفكيكها، أصبحت هدفاً استراتيجياً لا غنى عنه لتفكيك وتصديع جبهته الأمامية.

فعندما بدأت المعارك العسكرية على حدودنا الجنوبية، أثبتت جميع مكونات ومناطق وطوائف شعبنا تلاحمها ووقوفها صفاً واحدا كالبنيان المرصوص، خلف قيادتنا الرشيدة وقواتنا المسلحة الباسلة، بتناغم عفوي نحسد عليه، وما إن بدأت بوادر التلاحم بين الجبهتين الداخلية والخارجية تؤتي ثمارها؛ حتى أخذت تخرج علينا بيانات مشبوهة، وموقعة وللأسف الشديد، من أناس يحملون صفة العلم الشرعي، فأخذوا يعيروننا بأن الحرب ماهي إلا عقاب لنا من الله تعالى على ما ارتكبناه من ذنوب، لتخلينا عن معتقداتهم الطائفية النتنة وعدم تحمسنا لمطالباتهم بالتخلي عن خطط حكومتنا الرشيدة التنموية الحضارية والعلمية التي لم تستوعبها عقولهم السطحية، ولما حصحص الحق وزهق الباطل، وشعت بوادر النصر العسكري والوطني كالشمس في رابعة النهار؛ قفزوا كعادتهم لاختطاف هذا النصر المبين، وسعوا لتجييره لمشروع طائفي بغيض. فالظلاميون في كل مكان يساندون بعضهم سواء وعوا ذلك أم لم يعوا.

وهنا تدخل جيشنا المدافع الأول عن جبهتنا الداخلية، وأعلن على لسان مساعد وزير الدفاع، صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سلطان، البيان التالي "جيش المملكة العربية السعودية معد ومجهز للدفاع عن المملكة العربية السعودية بكل أطيافها وفئاتها ومكتسباتها. لا يستثني طائفة ولا فئة ولا يستثني أي كائن يعيش على أرض المملكة. هو جيش الدولة السعودية الباسل وليس جيش طائفة محددة. فما يجري في الدول الأخرى من صراعات طائفية بين السنة والشيعة أو بين المسيحيين والمسلمين أو غير ذلك لا يعني الجيش السعودي ولا علاقة له به. الجيش السعودي لا ينتقي أعداءه. لا يتعامل معهم وفقا لهوياتهم الثقافية وخلفياتهم الطائفية".

المتسللون المعتدون، ليس لديهم وسائل دعائية للوصول لإرباك لحمتنا الوطنية وتصديعها كجزء من حربهم علينا. فقامت بعض الفضائيات المشبوهة بالتكفل بهذه المهمة عنهم؛ وتم إخراسها. وهذا ليس بالمستغرب؛ ولكن المستغرب، أن يأتي الدعم، سواء بقصد أو بغير قصد، لتفكيك وتصديع جبهتنا الداخلية، بالنيابة عن المعتدين، من فئة منا، تدعي حرصها وخوفها علينا. فتوالت علينا البيانات الطائفية والخطب المنبرية التكفيرية لجزء عزيز من مكونات جبهتنا الداخلية الصامدة، وكل هذا باسم دعم الجبهة الأمامية والحرص عليها! وهكذا أحس جيشنا بخطورة من أرادوا طعنه من الخلف بعقيدته الوطنية، التي ترقى فوق كل الشكوك؛ فاضطر لإعلان بيانه أعلاه. مؤكداً أنه ليس بالخب، ولا الخب يخدعه. أفليس من المطلوب منا كذلك سن قوانين تحمي أمن جبهتنا الداخلية، من كل خب، فالخب وباء خطير على محيطة وشر مستطير.